المتهم البرئ
أو اللص الخفى

فى يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ بينما كان احمد.. يسير فى الشارع صباحا فى محاذاة أحدى البيوتات اذا انقض عليه اثنان من رجال العسس فقبضا عليه بشدة قائلين (وقعت ياملعون انت عذبتنا وهو ستنا اتناشر شهر واحنا بنجرى وراك وانت تعمل كل عمله واختها ! بس استنا!!)

بهت أحمد لهذه المفاجأة الغريبة ونظر اليهما بدهشة قائلا « ماذا تبغيان ؟» قال هذا وهما قد بدا يكبلانه بالحديد وكان قد ظن الامر مجرد شبهة لا تلبث ان تظهر من وراءها الحقيقة ولكنهما تماديا واستمرا يلبسانه الحديد بالقوة وهو يدافع ويهدد ويرعد ولا من مجيب وقد حضر اساعدتهما رجل الشرطة وتم لهم ماأرادوا وبدأوا يجرونه الى القسم فلم يرى بدا من مسايرتهم وملاطفتهم حتى يقف على سبب ذلك ولكنه كان يحاول عبثا اذ كان كلما سأل أحدهم لايجيبه الا بنظرة استهتار وسخرية قائلا « بقى انت مش عارف ! ؟» وأخيرا وصلوا الى مركز البوليس فأودعوه الحجز ريثما يبلغون الامر للمحقق وبعد ساعة ذاق فيها احمد مر العذاب لتلك المباغتة الغريبة وذلك الحال الذى لم يكن له به عهد من قبل حضر المحقق وبدأ يسأله ويحقق معه فى أربع حوادث سرقة فى المنزل الذى وجد أمامه صباح اليوم وبعد ساعات قضاها المحقق مع احمد فى حوار لم ينل منه شيئا اذ كان جواب احمد فى جميعها استغرابا ودهشة ونفيا بشدة شأن من ليس له عهد بمثل هذا ومن لم يقترف مثل ذلك مطلقا - أقفل المحقق المحضر ورد احمد الى السجن ريثما يتم التحقيق .

فى المنزل المجاور لبيت احمد

فى إحدى غرفه جلس اثنان الى بعضهما القرفصاء وجرى بينهما الحوار الآتى : —

ـ لقد قبض عليه اليوم وسوف يحاكم ويحكم عليه بالسجن فيخلو لنا الجو بتلك الفاتنة حيث نوهمها بسعينا فى خلاصه حتى تتلهى عنه ونكون قد كسبنا المسألة بما وقع فى أيدينا من هذه النفائس القيمة ، وليس علينا إلا أن نغري بعض أصدقائنا لاداء شهادة قيمة ضده كى تتم المسألة على مايرام .

فرد عليه الآخر قائلا : ـ وما الذى تراه فى هذا الخاتم الغريب الذي لانستطيع بيعه لانه معروف ؟

ـ لا ، لاتخف ، ستنسى المسألة ونبيعه فى غفلة بأى ثمن ، فان الذى نربحه من ورائه فائدة .

فرد عليه الآخر فى فرح وسرور «لا ،لا . الرأى عندى أن نقدمه لها كهدية حتى اذا ماوقع فى يدها يكون من ضمن الادلة على ثبوت التهمة ضد زوجها ، هذا وبخاصة لو أفهمناها أنه من عند زوجها دليل على ارتياحه لزياراتنا لها .

فأجابه قائلا : « برافو ياعم سرور !!والله عال ! ! »

احمد فى السجن

جلس احمد حزينا كئيباً لايدرى ماذا أصابه ومن أين وقعت هذه المصيبة وما الذى يعمله والمحقق لايريد أن يقبل منه إلا اعترافا ولو بالباطل . وأخذه الحديث الى التفكير فيمن يكون السبب في ذلك فدار بخلده أن يكون ذلك من طريق الصدفة فقط ، ولكنه جمع شارد فكره فتذكر أنه كانت له علاقة بشخصين جمعته بهما صدفة سيئة وانه وجد فى أخلاقهما شراسة وخسة خصوصا وانهما ظهرا بعد ذلك بمنتهى القحة والاستهتار ، وانهما كانا

يبغيان به شراً فى زوجته فاهنهما وقطع علاقته معهما وكان يعلم أنهما قد يأتيان السرقة !! فتيقن أن مصيبته ليست إلا من هذه الجهة ، وزادت آلامه لعلمه أنهما سيرتكبان ضد زوجته ما كان يخشاه . ظلت هذه الهواجس وتلك الافكار تنتابه فى كل لحظة وحين وهو تارة يبكى وآنا يتظلم لمن ينابه و يستغيث ؛ ولكن أنى لحراس جهنم أن يصغوا لصوت لرحمة أو يلبوا نداء الانسانية ؟ ؟ لبث على تلك الحال خمسة عشر يوماً وهو فى كل يوم يدعوه السجان لمقابلة المحقق حتى اذا ماثل بين يديه فاجأه المحقق بالاسئلة فيجيب عنها بالنفي . و يوجه التفاته الى بعض أشياء يريد أن يدلى بها فلا يأبه له ولا يلتفت لكلامه . وأخيراً أقفل التحقيق على بعض اجابات كان يرى المحقق أن فيها اعترافا ضمنيا وأرسلت الاوراق الى المحكمة لمحاكمة المتهم فى يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧ أمام قاضى الاحالة تمهيداً لتقديمه لمحكمة الجنايات

فى منزل احمد

فى صباح اليوم السادس من القبض على أحمد طرق الباب على زوجته ، وكانت قد علمت بالامر من جهة المحل الذى كان يشتغل فيه . وهو قد كان يشغل وظيفة كاتب باحدي المحال التجارية الكبري ، فسألت: من الطارق ؟ فرد عليها صوت قائلا أنا من قبل احمد افندى ، ففتحت الباب بتلهف ، إذ كانت تحب زوجها كثيراً شأن الوفية لزوجها ، فاذا ذلك الرجل الذى كانت تعلم سابقاً أن بينه وبين زوجها صداقة اذ لم يكن أحمد قد أخبرها بما كان بينهما بعد ذلك .

فبادرها التحية فردت عليه بحياء وحزن وقالت ماذا وراءك فقال ان احمد افندى فى خير وسلام وان مسألته سهلة وينتظر الافراج عنه قريبا ولكنه أرسلنى لاسألك اذا كنت فى حاجة الى شيء أخبره فيرسله لك . فأجابت بعد أنة عميقة : لا أريد شيئاً إلا إطلاق سراحه فهو برىء كما يعلم الله .

فقال لها فى شىء من التحكك لاتحزنى فقريبا يكون ذلك ولكن على كل حال اذا كان لك طلب فانا على استعداد لتقديمه فنحن كما تعلمين أصدقاء وانى أقدم لك هذا الجنيه ريثما نرى ماذا يكون من أمره فترددت فى أخذه ولكنها لعلمها انه صديق زوجها خصوصا وقد فارقها زوجها آخر الشهر وقد حجز مرتبه تقبلته باخلاص وحسن نية شاكرة

الا أن المجرم الخبيث اتخذ من ذلك وسيلة لزيارة المنزل لمناسبة ولغير مناسبة وصار يتردد على المنزل كثيرا ويقابل فى كل مرة برفض كل اقتراحاته من تقديم نقود بدعوى انها مرسلة من زوجها واخرى بارسال هدايا الى غير ذلك مما أكد عندها سوء نية وخبث فعاله حتى انه فى ذات مرة وكانت دائما تخاطبه من وراء حجاب اخبرها انه سيشترى لها خاتما ذكر لها أوصافه وانه سيقدمه لها سواء رضيته أم قبلته لانه يعمل كل ذلك لأرضاء ضميره ووفاء بما كان يقوم به زوجها نحوه من خدمات

بين المتهم وزوجته

الى أن مضى على ذلك الحال أكثر من شهرين ونصف ذاق المسكين فيها فى سجنه ظلمة القبر وعذاب الجحيم صنوفا وألوانا ، ورأت فيها المسكينة زوجته الذل والهوان على اقبح ما يكون وكان قد حوكم أمام محكمة الاحالة وحكمت عليه رغم صيحاته المتكررة ونداءاته الموجعة بتحويله الى محكمة الجنايات لدور فبراير .

وقبيل بدء المحاكمة بأيام وبعد رجاءات متكررة ولأى وعناء قبل رجاء الزوجة فى زيارة زوجها وفعلا قابلت الزوجة رجلها ومالك لبها والاسير البرىء المعذب وناهيك بما وقع من بكاء ونحيب وتوجع وتمنى الخلاص من هذه التهمة ثم بدأت تقص عليه حكاية ذلك النذل السافل (خاطر) الذى كان يتردد عليها بالزيارة وما تقدم به اليها وغير ذلك من الحكايات كان فى أثنائها المسكين يكاد

يتميز من الغيظ الى أن أخبرته عن مسألة هديته لها الأخيرة وهى الخاتم الذى وعدها به رغما عنها فسألها زوجها عن وصف ذلك الخاتم فذكرت له الاوصاف التى قالها لها ذلك المجرم الاثيم ، فعض يده أسفا وقال : يسرق المجرم ويسجنني فى سرقته ! انه الخاتم .. إسمعى انا المخطىء ليس بيني وبين هذا المجرم الا كل عداء . لقد تحكك فى أول الامر ولما عرفت انه سافل وأنه يقصدنى وإياك بسوء طردته شر طردة وما أردت أن أخبرك بذلك لانى لم أكن اعلم بشىء من هذا ، وان المسألة انني متهم بأربع حوادث سرقة وان هذا الخاتم من ضمنها وحيث أنه عمل ذلك فاسمعى ما سأقوله جيدا واعملى به . عقب خروجك اذهبى الى مركز البوليس وقابلى المأمور بنفسه واسردي عليه المسألة بحذافيرها واعملى بما يأمرك به من الاوامر لعلهم يقبضون عليه متلبسا بجريمته ويظهر العدل وينال الاثيم جزاءه وافيا ، فاطمأنت المسكينة لذلك وخرجت من عنده قاصدة ادارة الامن حيث المأمور فقابلته وقصت عليه المسألة بتمامها وان زوجها يعانى ألم السجن لغير ماذنب أو إثم اشباعا لرغبة الفسقة المجرمين الذين لا يرعون فى الله إلا ولا ذمة ، فهم فى ضلالهم يعمهون ، وما كاد المأمور يسمع بذلك وبخاصة عندما ذكرت له ما وعدها به من أمر الخاتم حتى اهتم بالامر واخبرها أنه سيرسل بعضا من رجاله يختفون فى المنزل وينظرون مايجرى واذا جاء ذلك الشخص تجعلته يتقدم اليها بما يريد فامتثلت لذلك وما عتم أن حضر لديها اثنان من رجال الشرطة مختفين فادخلتهما فى حجرة مجاورة وكان ذلك الملعون قد زارها بعد زيارتها لزوجها فقابلته بنوع من البشر فخدع اذ لم يعلم انها قابلت زوجها وعرفت كل شىء ، ووعدها بأنه أمر الصائغ أن يصنع لها الخاتم على هذا الشكل خاصة وأن بينه وبين الصائغ ميعادا اليوم سيأخذه منه ويحضره لها ؛ فأجابته ببعض البشاشة (لا بأس) فاطمأن الى ذلك وذهب وقد كان فى أثره بعض الرجال السريين حيث علموا مكمن الاشياء

المسروقة التى لم تكن بيعت حتى الآن . فحمل الخاتم وطار على جناح السرعة ليقدمه اليها ودخل المنزل وأراد أن يداعبها مقدما (عربونا) للخاتم ولكنها أبت الا أن يسلمها الخاتم أولا ، وبينما هو يسلمه لها اذ انقض عليه المختفيان فقبضا عليه متلبسا بجريمته وكبل بالاغلال وسيق الى التحقيق ، وكان فى اثناء ذلك قد ذهب بعض رجال الشرطة لمهاجمة منزله والتفتيش فيه وفعلا عثروا على معظم السرقات وفتح له محضر التحقيق

أمام قاضى الجنايات

عقدت جلسة الجنايات لدور فبراير وجاء دور قضية احمد فنودى فى قفص الاتهام وبدىء فى استجوابه ومناقشته ، وبينما الرئيس يسأله اذ حضر بعض رجال الأمن يحمل بريدا مستعجلا للرئيس فلم ير الرئيس بدا من قضه وقراءته مادام جوابا اداريا وفعلا فضه فوجد به ما يأتى بعد الديباجة : —

عثر اليوم رجل الادارة والأمن على المسروقات فى بيت رجل يدعى خاطر وقد قبض عليه اثناء تلبسه بجريمة انتهاك حرمة منزل احمد . . . . . الذي يحاكم اليوم بالمحكمة برياستكم ويقدم الى زوجته خاتما من المسروقات هدية والآن بما أنه رهن المحاكمة فحرصا على مصلحة التحقيق نرجو ايقاف محاكمة المتهم احمد . . . حتى يتم التحقيق مع هؤلاء .

فاقتنع الرئيس بذلك وأمر بارجاع المتهم الى السجن ، وبينما هو يضع هذه الافادة بدوسيه القضية اذ وقع نظره على اسم خاطر . . . . فجأة فقرأ الورقة التى فيها هذا الاسم فعلم انها ورقة مقدمة الى النيابة منه ضد المتهم احمد بالقبض عليه لسرقته هذه السرقات جميعها فتبين له أن لابد فى الأمر من سر . ورد الاوراق لاجراء التحقيق

البراءة

واجرى التحقيق مع المتهم الثانى فاعترف بكل ماجرى تحت تأثير العدل

والقسطاس المستقيم . ولما اعترف عن شركائه فى الجريمة وشهدت شهود الاثبات بصحة ذلك واعترف جميع المتهمين بجرائمهم ، ولما سئلوا عن احمد ردوا جميعا بصوت واحد عدم اتصاله بهم مطلقا وان ليس له يد فى شيء ، وان المسألة لم تكن سوى أن خاطر رأى ذات يوم زوجته الجميلة فصاحبه لذلك ولما لم ينل منها أو منه مأربا قدم البلاغ المذكور تخليصا لنفسه و بعدا عن شبهة وانتهازا لفرصة طالما تمناها . ولكن ابى الله الا أن ينصر الحق وتعلو كلمته ولو كره المجرمون . واحيلت الاوراق الى محكمة الجنايات جميعها وحوكموا وخلت المحكمة للمداولة وبعد برهة خرج الرئيس لنطق الحكم وهو يقضى بحبس كل من المتهمين عدا خاطر واحمد بالسجن لمدد تتراوح بين سنة او سنتين . وعلى خاطر بالسجن سبع سنوات . وعلى احمد بالبراءة مع حفظ الحق له ضد خاطر بالتعويض المدنى الى اربعة الاف جنيه

فهتف الناس جميعا ليحيا العدل وخرج احمد مرفوع الرأس موفور الكرامة ونال المجرمون عقابهم فكان جزاء وفاقا .

محمد عبد الجواد السكرى